مالم تنقله الفضائيات!

جنود مسؤولون حافظوا على الممتلكات العامة بل ضجيج

الناصرية/حسين كريم العامل

شكراً.. للشيخ عبادي والشيخ فاضل .... شكراً لعبد الأمير ما يح الموظف في مفتشية الآثار الذي دافع عن ذاكرة شعبه وبلاده شكراً لأبناء سيد حسوني وأبناء شناع ومجيد وأحمد التويري.. شكراً لمهدي حسن شلال.. وعباس وفاضل صبر ومحمد وغسان واخرين لجمعهم الأدوية في منطقة المستشفى الجمهوري.. شكراً لكريم بهلول.. وعباس.. لفتحهم مساكنهم وقيامهم بتجميع الأدوية والحفاظ عليها.. شكراً لحسين العامل ورشيد كاظم وثائر.. وصاحب الفولكا الذي أجهل اسمه. وأصحاب المركبات الذين تطوعوا لنقل العلاج والآليات إلى مستشفى الناصرية العام.

(شكراً لرجال الدين الأجلاء.. وشكراً إلى الأخوة المجهولين الذين لم تحضرنا أسماؤهم شكراً لكل الذين قاموا بحماية المستشفيات والدوائر العامة والتطوع والسهر على راحة المرضى شكراً.. لكل الذين داسوا الأنانية وسخروا طاقاتهم لخدمة وخير المجتمع).

هذا نص ما كتبته جريدة صوت المدينة الصادرة في الناصرية بعد ستة أيام من سقوط النظام أي في يوم ٢٠٠٣/٤/١٥.

الفرهود

للإطلاع على الأحداث منذ بدايتها وكيف جرت الأمور في الناصرية التقينا السيد محمد راضي ليروي لنا ما حصل فقال:

-بعد انتهاء العمليات العسكرية في الناصرية وقبل سقوط صدام هجم الرعاع أول الأمر على العيادة الشعبية وبعدها على مبنى المحافظة ومجلس الشعب ومديرية الإحصاء.. وقد بدأ الناس بالاستيلاء على الأسلحة التي ترك أزلام النظام مخازنها مشرعة الأبواب وهربوا.

فنهبوا السلاح الموجود في مقر (فدائيي صدام) والفرق الحزبية، وبعدها بدأ النهب والسلب في دوائر الدولة وأخذ الرعاع يهاجمون المخازن والأسواق المركزية ومحطات تعبئة الغاز ومخازن الحديد والخشب، وكذلك ممتلكات الدوائر الخدمية مثل البلديات والتربية والطرق والجسور والدوائر الأمنية والاستخبارات والجوازات والتجانيد، فنهبوا آلياتها وأثاثها وأحرقوا وثائقها.

وقد شاهدت العربات التي تجرها الحيوانات تغدو وتجيء وهي محملة بما استطاعت أن تنهبه من جامعة ذي قار التي كانت مدرعات الأمريكان تقف بالقرب منها. وليس هذا فقط. فقد قام الأمريكان بتجريد حراس مخازن المواد الغذائية من أسلحتهم ودعوا المواطنين إلى نهب محتوياتها. كما نهبت محتويات المستشفى وعدد من المخازن. كما سمحوا للمواطنين باحتلال الدوائر والسكن فيها. أشار السيد محمد إلى نيات الأمريكان قائلاً:

أعتقد إن عملية التخريب والسماح بها من قبل الأمريكان كانت عملية مقصودة الغاية منها تخريب البنية التحتية للعراق لأجل استقدام شركاتهم للعمل هنا. ولو كان الأمريكان جادين في المحافظة على الدوائر وحمايتها لأصدروا قراراً، مجرد قرار، يدعو الموظفين إلى الاستمرار بالدوام في مدارسهم ودوائرهم ويحملهم مسؤولية المحافظة عليها.

مواقف إيجابية

أما السيد أبو عمار فقد قاطعنا قائلاً:

-قد يكون ما قاله السيد أبو جاسم صحيحاً لكن هذا لا يمنع وجود الكثير من الحالات الإيجابية. فقد شاهدت أثناء عمليات النهب العديد من المواطنين الشرفاء الذين يعترضون السراق ويطالبونهم بإعادة تلك الممتلكات. ويقفون بوجوههم ويصطدمون معهم أحياناً، كما شاهدت الكثير من سائقي السيارات الذين امتنعوا عن نقل الأغراض المسروقة برغم المغريات التي يقدمها اللصوص، وشاهدت أيضاً الناس وهم يجمعون الأدوية ويعيدونها إلى المستشفيات أو يسلمونها إلى الجوامع التي امتلأت بالأثاث والأجهزة. وإن إعادة المسروقات دليل قاطع على إن الكثير من العوائل غير راضية عما يقوم به البعض من أفرادها.

وما أكثر ما أعادت هذه العوائل من المنهوبات مع اعتذارها وخجلها مما فعله صبيانها غير المدركين.

جمع الأدوية

أما الأستاذ كريم بهلول الذي ورد اسمه ضمن الأسماء التي شكرتها جريدة (صوت المدينة) فقد حدثنا قائلاً:

-أكدت الوثائق التي وجدت في مقرات الأمن وأجهزة المخابرات تشجيع النظام السابق ودعوة منتسبيه إلى حرق المدن والمؤسسات وتشجيع السلب والنهب للقضاء على آخر ما تبقى من البنية التحتية. ومن ضمن هذه المؤسسات المستشفى الجمهوري في الناصرية حيث مركز التجهيزات الطبية لعموم المحافظة. وقد حاول جمهور من الرعاع الهجوم على المستشفى عدة مرات إلا أن الخيرين تصدوا لهم وأفشلوا محاولاتهم. لكن وبعد الانفلات الأمني الكبير هجمت جموع من الرعاع بأعداد كبيرة وبدأت بنهب محتويات مذخر الأدوية والتجهيزات، ولم تنفع محاولاتنا ومحاولات الأهالي من منعهم إذ كان البعض منهم مسلحاً. لقد كان المنظر مؤلماً. وبعد الذي حدث قمت ليلاً بتكليف أولادي وبعض شباب المنطقة، ومنهم أولاد المرحوم السيد حسوني السيد عزيز، بدعوة الناس إلى إرجاع الأدوية مستخدمين مكبرات الصوت اليدوية. وقمنا بذلك برغم برودة الجو والظلام الدامس وخطورة الموقف. وبالفعل استجاب العديد من المواطنين وقاموا بإعادة الأدوية والأجهزة الطبية وتم إيداعها في منزلي ومنزل المرحوم السيد حسوني المكصوصي ودور أخرى فضلاً عن الجوامع حيث جمعت كميات كبيرة من الأدوية. وامتدت مهمتنا إلى وقت متأخر من الليل واستمرت إلى اليوم التالي، وفي الصباح قمنا بنقل هذه الأدوية إلى مستشفى الناصرية العام، حيث سخر الكثيرون من الخيرين سياراتهم مجاناً، وكان حضرتكم واحداً من هؤلاء، وبرغم خطورة الموقف سلمت جميع الأدوية واحتفظت بالأجهزة الطبية في منزلي بناءاً على طلب الدكتور خضير هزير الذي قال لي: (احتفظ بهذه الأجهزة لحين استقرار الموقف في المستشفى خوفاً من سرقتها مرة أخرى). وفعلاً أعدناها بعد أسبوع وتسلمتها إدارة المستشفى.

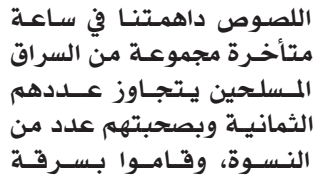

المكتبة العامة

أما السيد عدنان صياح المكصوصي الذي يعمل حارساً في المكتبة العامة فقد روى لنا كيف تمت المحافظة على الكتب والوثائق من همجية (ابطال أم الحواسم) قائلاً:

لقد ساهم أبناء المنطقة بشكل فاعل في المحافظة على موجودات المكتبة العامة سواء في عام ١٩٩١ أو أثناء الحرب الأخيرة. فبعد دخول قوات الاحتلال واستباحة دوائر الدولة ومؤسساتها من قبل اللصوص داهمتنا في ساعة متأخرة مجموعة من السراق المسلحين يتجاوز عددهم الثمانية وبصحبتهم عدد من النسوة، وقاموا بسرقة المكيفات والمراوح والأجهزة الكهربائية بالقوة، وحينما حاولوا سرقة الكتب تدخل أبناء المنطقة، الذين تجمعوا حال سماعهم مشاجرتنا مع اللصوص، واستعادوا بعض الأجهزة ومنعوهم من سرقة الكتب. وأذكر من الذين ساهموا بحماية المكتبة علي كاظم عباس وشقيقه حيدر وحازم وكذلك أولاد خثير عباس والعديد من أبناء المنطقة الذين لا تحضرني أسماؤهم هذه اللحظة فضلاً عن زميلي الحارس ناجي مهلهل. وفي اليوم التالي حضر مجموعة من رجال الدين وطلبوا منا نقل الكتب والمصادر وعدد من الأجهزة إلى أحد الجوامع في منطقة سومر الذي يشرف عليه الشيخ فاضل، فوافقنا وفعلاً حافظوا على الكتب والممتلكات وأعادوها بعد استتباب الأمن وتسلمتها أمينة المكتبة خولة عبد الستار، وباشرت المكتبة بالدوام بعد سقوط النظام مباشرة. وتكاد تكون بناية المكتبة من البنايات القليلة التي تمت المحافظة عليها كبناية وأثاث وهذا لم يتم لولا تعاون الخيرين.

شركة أور العامة

أما السيد حامد علوان أحد المساهمين في حماية شركة أور العامة فقد تحدث قائلاً:

-أثناء دخول الأمريكان الناصرية شكلنا خفارات متواصلة لحماية منشآت ومعامل شركة أور العامة التي تضم ١٣ معملاً (٦ معامل للألمنيوم و ٧ معامل للقابلوات) أنا ومجموعة من الحراس والساكنين لحماية معامل الألمنيوم وقامت مجموعة أخرى بحماية معامل القابلوات. وكانت أعداد كل مجموعة لا تتجاوز الـ١٥ شخصاً وذلك لهجرة الموظفين وسكان الحي بسبب القصف. وأول عمل قمنا به هو جلب احدى المولدات من معمل الأكسدة وتشغيله لإنارة الشركة والحي السكني والتناوب في الحراسات. وبعد ذلك تمت مفاتحة مدير الشركة ومعاون المدير لصرف مبالغ يومية للحراس الموجودين لغرض استدراج الحراس الآخرين الذين تلكأوا في الحضور. وفعلاً تم صرف المبالغ لهم وواظبوا على الدوام وتمت حماية الشركة تماماً ولم تتعرض للنهب برغم القصف الجوي والرمي ومواجهة المخاطر. وتمت المحافظة عليها على الرغم من تعرض المنشآت المجاورة كمعمل النسيج ومخازن الحديد والخشب للنهب. وتقدر قيمة الأموال التي تمت المحافظة عليها بـ ٧ مليارات دينار. واستدرك قائلاً:

-هذه بالنسبة للمواد التي تخص الانتاج فقط ناهيك عن المكائن والمعدات والأبنية.

محطة كهرباء شمالي الناصرية

أما محطة كهرباء شمالي الناصرية فيحدثنا عن حمياتها والمحافظة عليها المشغل علي نايف مطر الذي أصيب بجروح أثناء قيامه بحراستها قائلاً:

-قبل بداية الحرب قام أزلام النظام بنشر المدفعية والأسلحة الثقيلة في المنطقة القريبة من المحطة وأثناء عبور رتل تابع للجيش الأمريكي الجسر السريع القريب من المحطة تعرض لإطلاق نار من المنطقة المجاورة للمحطة، أسفر عن إصابة أحد الجنود مما حدا بالقوات الأمريكية إلى الرد على مصدر النيران واستهداف المحطة بشكل مباشر، مستخدمة بذلك الطائرات فأصابتني إحدى الشظايا بيدي، وجرح زميلي حسن داود أيضاً، وتم نقلنا إلى المستشفى بإحدى السيارات الأهلية. وواصل الحراس الموجودون في المحطة القيام بواجب حمايتها وهم كل من: كاظم راضي والمرحوم عبد الحسين ضمد الذي توفي بعد الأحداث وطالب كامل. ولم يتركوا أماكنهم إلا بعد استيلاء الأمريكان على المحطة واتخاذها مقراً لهم. كما حافظ منتسبوا الطاقة الحرارية أيضاً على البناية والمحولات ولم يمسها أي ضرر سوى ما تعرضت له من قصف. أما السيد غالب حمادي القصاب الذي يعمل مشغلاً في المحطة فقد قدر الأموال التي تمت المحافظة عليها بأكثر من مليار دينار عراقي معززاً قوله بأن هذه المحطة هي التي تقوم بتحويل الطاقة الكهربائية من ١٣٢ KV إلى ٣٣ KV ومن ثم إلى ١١KV والمحطة تضم محولتين عملاقتين وهي التي تغذي جميع المحطات الثانوية في محافظة ذي قار بالكهرباء.

شركة التأمين الوطنية

أما السيد علي عبد الحسين مدير شركة التأمين الوطنية فيقول:

-أثناء العمليات العسكرية ومع بداية الفرهود تعرضت دائرتنا لدهم اللصول لغرض سرقتها ونهب ما فيها من مكيفات وأجهزة وأثاث، لكن حضورنا في الدائرة حتى أثناء العمليات العسكرية حال دون تحقيق مآربهم، فقد وقفنا بوجوههم أنا والسيد عكاب حمود حسون وعلي هادي على الرغم من تعرضنا للتهديد. وتعرضت للإصابة بسبب تدافعي معهم. وقد كان اللصوص يطلبون منا أن نترك الدائرة ويهددونا بتفجيرها إذا لم نخرج منها. لكننا قاومنا بعناد. وقد حافظنا عليها للمرة الثانية إذ سبق لنا أن قمنا بالعمل عام ١٩٩١وقدم لنا كتاب شكر وكوفئنا بـ٢٥٠ ديناراً في ذلك الوقت. وقد زودنا السيد علي عبد الحسين بالكتاب الذي يحمل الرقم ١٢٩٠ والمؤرخ في ٢ آيار ١٩٩١ والذي يتضمن شمولهم بالمكافأة لحفاظهم على الممتلكات العامة.

في (ماي)

حوادث النهب بين الواقع والعلم

سرمد عبد الهادي

كنا نتقافز أمام شاشات التلفزيون ونحن نشاهد الأسلاك تلتف حول عنق التمثال، هذا الفعل الرمزي جعلنا ننطلق بفرح نحو شوارع بغداد، التي ما زالت المعارك تدور في بعض أحيائها، في هذه اللحظة شاهدت عربات تدفع باليد، وأخرى تجرها الحمير ونساء وشباباً يركضون منهكين تحت أثقال المواد المسروقة.

في اللحظة نفسها شاهدنا سيارات الإسعاف تجوب الشوارع منبهة الناس إلى حرمة الممتلكات العامة وعدم جواز العبث بها أو سرقتها.. ولكني فوجئت، ليلاً، حينما شاهدت الفضائيات العربية وهي تصورنا مجموعة سراق لا أكثر، ولم أر في هذه الصورة إلا محاولة للدفاع عن دموية النظام السابق.. تجمع ظلم السنوات الطوال السابقة في لحظة واحدة، لحظة عجز.

لقد كنا نحلم باليوم الذي نستطيع فيه كسر حواجز التسلط الصدامي ورؤية الإعلام العربي، وإذا بهذا الإعلام ينظر إلينا من خلال عيون بعثية، وإلا كيف يفسر تغييب الروح الوطنية التي حركت الآلاف من العراقيين، فعملوا تطوعاً في جمع ما سرق وإعادته إلى الجوامع والمدارس، أو الاحتفاظ بها وإعادتها إلى الدوائر المسروقة. كم من الآباء أعلنوا براءتهم من أفعال أبنائهم الطائشة ومعاقبتهم عليها؟ بل وصل الأمر أن شاع في الأحياء العراقية التمييز بين البيوت على هذا الأساس، منهم الأصلاء ومنهم (الحواسم).

وكنا نعي أسباب ما حصل، ان تسقط بغداد مثل كرة ثلج في نهار ساخن برغم أسلحة الحرس الجمهوري والفدائيين والبعثيين والجيش المنحل، فضلاً عن اتخاذ العوائل متاريس، هذا الأمر المفاجئ، برغم توقعات البعض، أربك الإنسان العراقي الذي لم يفكر ملياً بما بعد السقوط.

من كان يصدق أن سيخرج من ظلم البعث حياً.. كان حديث الشارع والبيت لتذهب كل الممتلكات إلى النار ما دامت بغداد الأهل بخير، وحين بدأت الصورة تفعل فعلها (صورة العراقي السارق) تنبهنا إلى عدم وجود أي من ركائز المجتمع المدني التي تساعد على مواجهة هذا التدمير الذي أحدثه مراهقونا، والمهمشون من أيتام النظام السابق وبعض الجهلة الذين أفقدهم نظام البعث شعورهم بوطنيتهم حتى تحول الدفاع عن المدرسة إلى دفاع عن الطاغية نفسه. لقد مسخت الدكتاتورية التفكير الوطني عند الكثيرين ممن كانوا يشعرون بأن العراق، بكل ثرواته، ملك لأزلام صدام، وها هي فرصتهم للانتقام من هؤلاء الأزلام بنهب ممتلكاتهم، بهذا المنطق حدثت أعمال النهب، وهذا مالم تفصح عنه قنوات الإعلام.. إذن هو انتقام من جوع وإذلال ومهانة مورست عليهم طوال العقود الأربعة السابقة، وخارج دائرة الانتقام عرفنا بفعله حجم التفكك الذي يسري في مجتمعنا، وحاجتنا إلى إعادة بناء البلد بروح أخرى، روح المحبة والتعاون التي أحالت البيوت إلى مستشفيات والجوامع إلى مستودعات، والأحياء إلى فرق حماية جماعية..

انتهت أعمال النهب والسلب، ولكن هذه الروح ما زالت تسري برغم المتاعب التي نعيش في دوامتها.